

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

## لبنان

### مقابلة مع ادونيس

\*\*\*

لا تزال الصحف اللبنانية تتحدث عن ديوان الشاعر « ادونيس » الاخير « المسرح والمرايا » . وقد أجرى مندوب « ملحق الأنوار الادبي » حديثا هاما مع المؤلف رأينا ان نثبته فيما يلي :

س - بأي معنى تنظر الى صلة الشعر بالسياسة ؟  
ج - اولا : بمعنى ان الشاعر مواطن في دولة ومتضامن مع الانسان . فالانسان بالنسبة اليه ليس شيئا كبقية الاشياء ، بل كائن اخر يتحاور معه ويتواصل .

ثانيا : بمعنى ان الشعر ليس شكلا ادبيا او فنيا وحسب ، وانما هو شكل من اشكال الحياة والوجود .

ثالثا : بمعنى ان الشعر اتجاه يمكن ان يخلق به الشاعر واقعه في التاريخ . فالشعر جزء من الثقافة ، والثقافة هي في آن فكر وعمل، نظر وتطبيق ، أي تنفيذ وسياسة .

رابعا : بمعنى ان الشعر هو « جوهريا ، ثورة ، اعني ابداع مجتمع جديد حقا .

س - لكنت تنتقد دائما ، على ما اعلم ، كثيرا من الشعر العربي الجديد لانه ممتزج بالسياسة !.

ج - لا انتقده لانه سياسي ، بل لانه انعكاس سريع سطحي عن الواقع ، ولانه يفهم السياسة فهما خاطئا . فهو في الواقع حزبي - اي منخرط في اتجاه سياسي معين ينفي الاتجاهات الاخرى . ولذلك فان زاوية الرؤية عنده ضيقة ومحدودة ، واذا ضاقت الرؤية تضيق الرؤيا .

السياسة التي اعنيها هي الانهماك بالانسان كائن ، لا كحزبي او نصير ، هي هذا الهجس بمصير الانسان والعالم . الالتزام ، من هذه الشرفة ، كلمة ضيقة . استبدالها بكلمة بلبال . الشاعر لا يلتزم العالم . العالم بلبال الشاعر . الكون كله بلبال الشاعر . الشعر هاجس كوني .

س - هل تعني ان الشعر لا يجوز ان يعكس الواقع ؟  
ج - اعني ان الشعر كاشعير جزء لا يتجزأ من الواقع . لكن الشعر ، فيما يعاني الواقع ، لا يعكسه بل يخلقه ، اي يدع له صورة جديدة ، ومن هنا كانت الفاعلية الشعرية متجهة الى المستقبل لا الى الماضي . أي ان الشعر لا ينحصر فيما هو كائن ، وانما يتجاوزه الى ما يكون ، او الى ما لم يتحقق بعد . بهذا المعنى نقول ان الشعير لا يفسر الواقع ولا يصفه ، وانما يغيره - اي يخلق واقعا اخر .

س - اعتقد أننا نقترب من « المسرح والمرايا » مجموعتك الشعرية الاخيرة . فكيف تفسر اعتمادك فيها على الماضي ، اعني على التاريخ العربي ؟

ج - الاعتماد هنا لا يعني عودة الانكفاء والتفلسف . وانما يعني عودة اضاءة لاحداث التاريخ العربي . عودة فهم جديد لاحداث هذا التاريخ في ضوء الحاضر الذي نعيشه ، والمستقبل الذي نتطلع اليه . هكذا تفرغ احداثه من تاريخيتها العادية ، من وقتيتها ، لتصبح رموزا . فالشعر في « المسرح والمرايا » متصل بواقعا الخارجي فسي الماضي والحاضر ، لكنه في الوقت نفسه ينفصل عنه تطلعا الى واقع اخر ابهى واكمل . انه يخلق التاريخ الاخر ، الانسان الاخر . فهو شعر يتجه الى المستقبل ، فيما ينبثق من الماضي . لكن قيمته الاولى تكمن في اتجاهه

س - هل استطيع ان اعرف من هم في رأيك الشعراء العرب المبدعون اليوم ؟  
ج - اولا : انني اؤمن بوجود شعراء عرب مبدعين . ثانيا : ان العارفين بالشعر يعرفونهم واحدا واحدا . ثالثا : لا اظن ان من الصحيح

نحو المستقبل ، لا في انبثاقه من الماضي . غير ان معرفة الماضي هي التي تتيح له ان يتجاوزه الى المستقبل . فمن لا يعرف الماضي لا يعرف المستقبل ، لا يعرف الحاضر كذلك .

ان الشعر الذي لا يكون مسكونا بالمستقبل لا قيمة له . والمستقبل لا يسكن الفراغ ، لا يسكن الشعر المقتلع ، الفائب الهائم ، دون اصول او تاريخ . فالشعر يرى نفسه ، يتحقق ، يكتمل في التاريخ . وهذا يعني ان الابداع الشعري لا يكتمل الا بالابداع التاريخي . فالتغيير انساني شامل لا فني وحسب .

س - المستقبل اذن ، يعني التغيير ، الثورة ؟  
ج - تماما . أي ان الشعر المتجه الى المستقبل هو بالضرورة شعر ثورة . أي شعر يرفض ويغير . وهو نقيض الشعر الذي يقبل الواقع كما هو ، فيصبح انعكاسا له : يصبح وثيقة او ظاهرة اجتماعية عادية كبقية الظواهر .

ان الابداع الشعري هو هذا التوتر الرفض ، الغير ، بين الواقع والممكن ، الماضي والمستقبل ، الحياة كوضع مفروض او جامد ، والحياة كحرية وحركة . وبهذا المعنى يمكن القول ان الشعر ثورة دائمة .

س - الارتباط بالتراث ، بالتاريخ يطرح السؤال التالي : فهل ينبثق الشكل الشعري من الماضي ام من المستقبل ؟  
ج - حين يولد الشكل من الماضي وحسب ، يولد ميتا ، لانه يكون نسخا .

الشكل الشعري هو الشكل الحي : المتأصل ، لكن الحر ، حتى يبدو انه آت من المستقبل . انه المتأصل في الماضي لكن بحريسة المستقبل ولا نهائيته .

الشكل الخاص بشاعر ما ، بشعر ما لا يوجد الا حين يحقق في آن معا : التأصل والحرية ، القاعدة والحركة ، التراث والتجاوز .

الشاعر الجديد حقا لا يهدم الاصول ، بل يهدم ما بني جهلا او خطأ على الاصول . انه يكشف عن الاصول ، يعيد بناءها . الانطلاق مما بني على الاصول انطلاقا تقليدي ، غير شعري ، يحبس الدفعة الشعرية في معتقل شكلي . مهمة الشعر هو التحرر من هذا المعتقل ، هو تحطيم المعتقل .

س - هل ترى ان ما حققه الشعر العربي الجديد ، من هذه الناحية ، كافيا ؟  
ج - حقق اشياء كثيرة لكنها غير كافية . بل أخشى ان يسقط في شكلية ثانية قد تكون اكثر جمودا من الشكلية التي نار عليها . اعني انه يتجه الى ان يصبح شكلا واحدا ، يسير فسي خط واحد رفيع كالخيط . هذا من جهة . من جهة ثانية اصبح المقلدون اكثر عددا من الاصيلين باضعاف . ثمة شعراء يمكن اعتبار دواوينهم قصيدة واحدة ، بشكل واحد ، بايقاع واحد ، بتركيب واحد ، بنسخة واحدة ، بافق واحد . هذا مما يجمد حركة التجدد ، مما يوحي ان السهولة بدأت تهددنا . خصوصا ان المقلدين يزدادون وان حضورهم على المسرح شبه غامر ، وذلك بوساطة وسائل الاعلام . من هذه الناحية ، تبدو الصحافة الادبية وبعض دور النشر قبرا للشعر . انها نوع من التشويه والتضييع والتزييف بحيث يختلط كل شيء بكل شيء ، ويمتزج الرديء بالجميل ، والمقلد بالمبدع ، وتضيع القاييس .

س - هل استطيع ان اعرف من هم في رأيك الشعراء العرب المبدعون اليوم ؟  
ج - اولا : انني اؤمن بوجود شعراء عرب مبدعين . ثانيا : ان العارفين بالشعر يعرفونهم واحدا واحدا . ثالثا : لا اظن ان من الصحيح

ان يقيم شاعر شاعرا اخر من قبله ، بل الصحيح هو ان يفسره .  
المبدعون عائلة واحدة يمكن ان يفهم بعضهم البعض الاخر . لكن التقييم  
يجب ان على الاجر ، ان يترك للناقد ، للقارئ البصير . لهذا لن يفيد  
شيئا تعدادهم . اني شخصيا افرح بنتساج هؤلاء المبدعين ، فرحي  
بنتساج ذاته .

س - وهل رأيت في نتاجهم كرايك في نتاجك ؟

ج - اظلمهم كثيرا ان كنت ارى الى شعرهم كما ارى الى شعري .

س - وكيف ترى شعرك ؟

ج - لا اعرف . انا اجمل الناس بشعري . اعرف ان القصيدة  
التي اطمح الى كتابتها لم اكتبها بعد . فانا اشعر كأنني اجد من  
المستقبل ، كأنني لم ابدأ بعد . .

س - اعود لاستجلي رأيت في بعض نواحي الشكل الشعري .  
يمزج البعض احيانا بين الشكل والشكلية . فكيف نميز بينهما ؟

ج - لا شعر بلا شكل . لكن الشكلية تقتل الشعر . لان الشكلية  
انصراف الى اللغة كأداة خارجية قائمة بذاتها . أي السى اللغوية  
البيانية البديعية . الشعر الذي يعني ، قبل كل شيء ، عامدا وعن وعي  
كامل ، بالالفاظ وتركيبها ، لا يكون امينا لما يشتغل في ذاته ، بل يصبح  
امينا للغة . هذا يقوده الى الانفصال عن الحياة ، عن الشعر . . . يقوده  
الى الشكلية . . الشعر هو ان نقاوم الشكلية ، وهو ، من هذه الناحية ،  
ان نقاوم اللغة .

الشعر العربي تخلف او انحط منذ ان اصبح اسيسر الشكلية .  
فالانحطاط يعني ان الشعر تحول الى شكل معلق بالالفاظ قائم عليها .  
مثل هذا الشكل ايها لا حقيقة . انه عادة من نسق ما ، تركيب ما .  
انه بناء فوق الفراغ .

الانحطاط هو ان يصبح الشعر نسخا مزركشة عن القصائد القديمة  
التي حولها النسخ والاجترار الى اشياء . والواقع ان ما نسميه في  
تاريخنا الشعري عصر الانحطاط ، لم يكن الا اطارا فارغا ، دهليزا كبيرا  
مليئا بالاصداء ، وليس فيه غير الانقاض .

وهكذا بدا ان الشعر انتهى . لكن ما نسميه عصر النهضة اكتفي  
بان جعل هذه النهاية ونثر فوقها الزهور الاصطناعية الصفراء . كان  
لا بد للشعر كي يبعث تائيه من تلك الطفولة الطائشة ، غير الناضجة ،  
لكن الساحرة : جبران خليل جبران .

س - اذن لا ينحصر التجديد في الشكل ؟!

ج - اما ان يكون التجديد شاملا كليا واما انه لا يكون . فالتجديد  
الشعري هو تجديد مفهوم الشعر ومعناه ، لا شكله وحسب . ومن هنا  
كانت قيمة القصيدة لا ترتبط بالشكل وحده ، لا ترتبط بنظائرها الخارجي  
وحده ، وانما ترتبط بما تكشف عنه من الاعداد الانسانية والتعبيرية .

س - احب ان نوضح نقطة ثانية تتعلق بالشكل . كيف ننظر الى  
الصلة بين الشكل والوزن ؟

ج - الوزن شكل موسيقي قد يكون حتى الان انجح الاشكال .  
لكنه ليس الشكل الوحيد . انه ظاهرة خاصة من ظواهر الإيقاع . هذا  
يعني ان هناك مجالا واسعا لاشكال موسيقية جديدة ، اي لاوزان  
شعرية جديدة .

س - انت تفرق بين الوزن والإيقاع ؟!

ج - الإيقاع تناوب منتظم . الإيقاع الشعري هو تناوب المقاطع في  
تنسيق منتظم . الإيقاع اذن حركة والوزن شكل من اشكالها . وليس  
الوزن التقليدي الا تالفا ايقاعيا معينا . ومما يميز الشعر الجديد عن  
الشعر القديم هو ان الجديد يحاول ان يخلق تالفا وتناوبات ايقاعية  
جديدة . وفي ذلك يحاول الشعراء الجدد ان يطوروا مفهوم الشعر من  
الناحية الوزنية : فالشعر تالفا ايقاعيا لا وزني .

بقيت الاوزان في الشعر العربي حية ، متحركة ، صحيحة الى ان  
حاول النقاد ان يجعلوا منها قواعد نهائية . يخضعون لها اللغة  
الشعرية ، ومقياسا يميزون به الشعر عن النثر . وكانوا بموقفهم هذا  
يستعصمون بالجزء الذي هو الوزن عن الإيقاع الذي هو الكل . من هنا

جمود الاوزان ، وتحولها الى قوالب . ومن هنا ، بالتالي ، جمود الشعر .  
الوزن علم ، اما الإيقاع ففطرة . اعرف اشخاصا كثيرين يحسون  
بايقاع القصيدة دون ان يعرفوا وزنها ، او يفهموا قانسون التفاعيل او  
الوحدات الإيقاعية فيها .

ولان الوزن علم يمكن تجاوزه كماض الى « علم » اخر اكثر صحة -  
الى الإيقاع الذي هو ، بطبيعته ، حركة مستمرة . وهذا ما يسعى اليه  
الشاعر العربي الجديد ، اذ يترك الوزن التقليدي « العلهسي » ،  
ويستخدم توزيعا دوريا ، متناوبا ، متالفا للتفاعيل او للوحدات الإيقاعية .  
س - من هذه الناحية ومن ناحية المضمون كذلك ، يوصف شعرك  
عادة بانه شعر يتساءل ويكتشف . . لكن الى اين سيصل ؟

ج - كانت تشير الى رأي القائلين ان نتيجة الشعر الذي يتساءل  
ويكتشف هي الصمت ، ويعنون بذلك فضله ، بشكل او اخر في الوصول  
الى اجوبة عما يتساءل حوله او يحاول ان يكشفه . وياخذون مثلا على  
ذلك رامبو .

غير انهم ينسون ان شاعر التساؤل والكشف لا يتطلع الى اهداف  
محددة واضحة يحاول تحقيقها ، وحين لا يحققها يفشل . ان اهدافه  
هي في التساؤل والكشف . هي في التطلع الى الممكن الذي يظل ممكنا .  
ان هدفه هو المستقبل الذي يظل مستقبلا .

س - لكن ، اليس في هذا التطلع نوع من الغربة ؟

ج - لكنها غربة مضيئة وفعالة لانها تقيم عازلا قويا في وجه العادة  
والمفاهيم والاطر العقلية المشتركة الجامدة . بهذا تخرج الاشياء من  
سياقها الاليف ، وتتيح للانسان ان يحيا في اليقظة الدائمة . تتيج له  
ان يكتشف الالق الدائم في الاشياء والعالم .

الغربة هنا هي تتجاوز الماضي وانسانه القديم ، والحياة في  
المستقبل وانسانه الاتي .

س - كيف يمكن اذن فهم الصلة بين الشعر والواقع ؟

ج - الشعر جزء لا يتجزأ من الواقع ، لكنه لا يحيا به بل بالصورة  
التي يكونها عنه . الشاعر يصهر الواقع في حساسيته ورؤياه . يحوله  
الى ايقاع . يعيد كل شيء فيه الى فرادته الخاصة ، فيما يصل كسل  
شيء بكل شيء .

الشاعر يرى من الواقع بعده الداخلي لا الظاهري . هكذا يجرده  
من تفككه وفوضاه بحيث يبدو كأنه لا يعود موجودا الا بداخله المضيء ،  
بايقاعه وشغافيته . الشاعر ، بكلام اخر ، يخلخل مظاهر الواقع ويشيع  
فيه الحلم والخيال ، لكي يولد منه واقع اخر اكثر غنى وانسانية .  
وهو اذن لا ينفصل بل يستحيل ان ينفصل عن الواقع ، وانما يرفض  
شكلا من اشكاله .

التعبير عن حالة او لحظة من الواقع تعبيرا مباشرا يعزل هذه  
الحالة او اللحظة ويراها بحد ذاتها ، هو ، فنيا ، ابعد شيء عن الواقع .  
فالتعبير ، مثلا ، عن حركة ثورة قائمة لا يقدم الا شهادة عن وضع  
طارئ . ولكي ينجح الشاعر في التعبير عن الثورة لا بد له من تحقيق  
تركيب شعري بين الثابت والمتحرك ، بين الثورة كحركة اصلية في  
الحياة ، والثورة كحركة زمنية .

س - قلت ان الشعر جزء لا يتجزأ من الواقع فكيف توفق بين هذا  
القول وما في شعرك من صوفية او ، على الاقل ، من تأثر بالصوفية ؟

ج - قبل ان اجيبك احبان اوضح ان الصوفية كما افهمها تناقض  
جوهريا مع الصوفية كما يشاع عنها ، وكما يفهمها الباحثون التقليديون .  
احب ثانيا ان اقول ان الجواب ليس سهلا ، وانه لن يكون ، في  
أية حال ، محيطا او كافيا .

الجواب موجزه في النقاط التالية :

1 - ليست الصوفية انفصالا عن الواقع ، وليست نقيضا للواقع .  
بل على العكس . ان الصوفية تجربة حياتية لا تجريدية . انها تجربة  
الانسان الملمى بالواقع . التصوف ، تحديدا ، نقيض النظري . العلاج  
نقيض سقراط . سقراط يفضل العقل ونظامه على الحياة . يحاكم  
الحياة بنظام عقلي . العلاج لا يرى العقل الا من حيث هو حياة وتجربة .

هو يحاكم العقل بالحياة والتجربة .

٢ - في الصوفية نزعة مأساوية ، أي تراجيدية ، تتم في جدل الفرد والشخص ، المخلوق والخالق ، الحاضر والغائب ، الواقع ومسا وراء الواقع ، الموت والحياة . الصوفية تمحو الفرد فسي الشخص ، وتذيب الشخص في كاس شخصي - لا شخصي ، أي كائن يتجاوز الشخص ، لكنه هو نفسه شخص .

٣ - ان الحياة التي يؤكدها الصوفي ليست الحياة فسي ظاهر العالم ، بل في جوهره . فهو ينفي الحياة ويؤكدها في آن ، او ينفي الواقع ويؤكدها في آن . ينفيه بشكله اليومي ، الفاسد ، العاجز ، ويؤكدها بشكله الجوهري الحي . الصوفي هو ديونيزوس وابولون في آن : ديونيزوس من حيث انه قوة اتجاه الى الموت ، وابولون من حيث ان اتجاهه هذا مرتبط أساسيا باكتشاف جسد العالم وجمال هذا الجسد .

٤ - الصوفي اذن لا ينفي الحياة لانها باطلة ، عدمية ، غبية . وانما ينفيها لانها تحجب الحياة الحقيقية . غير انها كتجانب جزء لا يتجزأ من الحياة الحقيقية ، ومن الحقيقة نفسها . انها صورة الحقيقة . لذلك لا ينفيها ، بل يتجاوزها .

ولست اجد في هذا كله الا الثورة - اي تغيير الواقع وتجاوزه ، فيما نحيا فيه ونحتضنه .

الشعر هنا والتصوف والثورة واحد : محاولة اكتشاف الجانب الاخر من العالم ، الوجه الاخر من الاشياء والحياة . وبعبارة ثانية ،

الاتجاه نحو المستقبل .

س - ان تأثر الصوفية يقتزن دائما بفكرة السفر . فالسفر من الكلمات - المفاتيح في شعره ، فماذا يمثل بانسبة اليك ؟  
ج - حين نسافر ندخل في نهر الحركة . يزول عن الجسم غشاء المكان الذي كان يفهمه . يكتشف الجسم انه ، هو كذلك ، فضاء اخر . فالسفر يعطي للجسد بعدا وجوديا اخر ، يشيع فيه الوجود كله ، ما يكون ، ما يحتمل ان يكون وما لا يحتمل ذلك ان الجسد اذ سيسافر يتقدم في المفاجيء ، اللانهائي .

والجسم في السفر نفس ثانية . ولعل في هذا مما يوضح ان الانسان يزداد في السفر فهما لنفسه ، فكان السفر شفافية تصلنا بأعماق انفسنا ، وتصلنا بأبعاد اعالم . ففي السفر تتلاشى المسافات ، ونشعر بأن كل شيء قريب . السفر اقتراب . يوحدنا بالعالم ، يركد لنا اليقين بالعالم .

س - ان كان السفر مفاجأة ، فهو خطر ؟!

ج - صحيح . فهناك صلة بين السفر والموت . بل انني اسأل : هل السفر كحركة خالصة ، نوع من الموت ؟ هل السفر كاتجاه ، كانتقال ، كدخول في بعد اخر - اتجاه وانتقال الى مملكة الموت ، ودخول فيها ؟ لكن ماذا يعني الموت انذاك ؟ يعني معانقة حضور كان من هنيهة غيبا . فالسفر فوهة ، لكنها اذ تتصل بالهواية تتصل بالشمس .

الحب ، بهذا المعنى ، سفر . الشعر سفر . نحن ، بهذا المعنى ، احياء بقدر ما نسافر ، اي بقدر ما نموت !

نايف

روحيه غارودي  
ترجمه نزيه الحكيم

## مَارَكِسِيَّةُ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ

يقول روجيه غارودي ، مؤلف هذا الكتاب الخطير ، وهو احد ابرز فلاسفة الماركسية اليوم ، ما يلي :

(( ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع ان يصل الى الاشتراكية العلمية بدءا من منطلقات اخرى غير سبل هبغل أو ريكاردو أو سان سيمون . فلقد كانت له هو الاخر اشتراكيته الطوباوية ممثلة في حركة القرامطة ، وكان له ميراثه العقلي والجدلي ممثلا في ابن رشد ، وكان لديه مبشر بالمادية التاريخية في شخص ابن خلدون . وهو على هذا التراث يستطيع ان يقيم اشتراكيته العلمية )) .

ويقول الاستاذ نزيه الحكيم مترجم الكتاب :

« ان هذا النص يأتي بالجواب الحاسم حلا للجدل اللفظي الذي احتدم طويلا بين مثقفينا التقدميين حول الاشتراكية التي تأخذ بها بعض أقطارنا ، وهل تكون « اشتراكية عريضة » ام « طريقا عربيا الى الاشتراكية » . والحق ان المؤلف قد طرح بمثاله هذا قضية القومية العربية وعنصر تراث القيم الانسانية فيها كانه اثر مسلم به من وجهة النظر الماركسية . . . وهذا يدل على استعداد لقبول اشتراكية « علمية » غير ماركسية ، وهو تطور يعتبر كسبا ضخما حقا ، ويمكن ان يكون كسبا عربيا ، لاننا اذا وعيناه ، ونحن في بداية مسعانا الجديد للخروج من القاع ، فلن نجد انفسنا مكرهين على الاختيار الوحيد بين نار الاستغلال الرأسمالي باسم حرية الفرد ، وبين صقيع الطغيان الفئوي باسم مصلحة الجماعة . بل ستكون مسؤولية المثقفين العرب بالذات - في هذه الرحلة ، وتأسيسا محتوما على المنطلق القومي الوحدوي الذي لا يدبل له من التجزئة ولا من الاممية - ان يفتحوا ابواب الحاضر العربي ، الفاسد الهواء ، على الهواء النقي الذي يحمل بوادره عطاء الفكر العالمي غير المتزمت تحت شعار الحوار » .

ونعتقد ان هذا يكفي للإشارة الى أهمية كتاب « ماركسية القرن العشرين » الذي تقدمه اليوم ، والذي اثار ضجة كبيرة لدى صدوره منذ أشهر قليلة بين المفكرين الماركسيين وغير الماركسيين ، اذ يعتبر خطوة رائدة هامة على طريق الحوار المفتوح ، طريق تحرير البشر من « الايديولوجيات » الشمولية التي تزعم تفسير الانسان والطبيعة تفسيرا أحاديا نهائيا يفرض غيبية جديدة باسم العلم .

وسيقرا المثقف العربي في الكتاب فصولا تحليلية عميقة تتناول موقف الماركسية « الجديدة » من مبدأ الاعتقدية ، والاخلاق ، والدين ، والفن . وسيجد المثقف العربي فيه ، بلا شك ، مادة غنية للدرس والتفكير .

صدر حديثا

الثنى ٤٥٠ ق.ل

من : سامي خشبة

## التخمة والجوع ، وحديث الجن !

— \* \* \* —

النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة ؟ - انه نشاط وافر وكثير وبراق كدأبه دائما .. مسرحيات وافلام ، كتب تضم قصصا او اشعارا او مقالات او دراسات او روايات ، مؤلفة ومترجمة ، برامج اذاعية وتليفزيونية ، ابواب ثقافية - ثابتة وغير ثابتة - في الصحف والمجلات ، ومجلات كاملة لا تهتم بغير الثقافة الادبية والسياسية والعلمية ، مناقشات وندوات ، واخر صورة لهذا النشاط تكوين ناديين للسينما في شهرين متتاليين اولهما يتبع وزارة الثقافة والاخر يتبع نقابة الصحفيين ، اعداد خاصة عن الشباب وعن توفيق الحكيم وعن القصة القصيرة ، مجلة المسرح تصبح مجلة للمسرح وللسينما معا ، ويتضاعف حجمها وثمنها ورئاسة تحريرها وتنفذ من السوق في ساعات . ولكن كل من يستهلك هذا النشاط الجم لا يزيد عددهم عن مليونين من سكان الجمهورية العربية المتحدة .. نصف او ثلث سكان القاهرة .. وواحد على خمسة عشر من سكان الجمهورية العربية المتحدة التي نتحدث الآن عن نشاطها الثقافي !.

\*\*\*

وقد كنت اود ان اجعل من هذه الرسالة استعراضا عاما لحياتنا الثقافية والفكرية في العام الماضي ، وان احاول تسجيل ما اخرجته المطابع من انتاج جديد . وكنت اظن ان هذا الاستعراض وذلك التسجيل قد يكونان في مجموعهما اصلح طريق لاعادة اكتشاف الصورة الصادقة والقيمة الحقيقية لاهتماماتنا « الروحية » في هذه الايام الجوعانة الى الغذاء الروحي الوافر والاصيل . ولكن النظرة الراسية التي تحاول النفاذ الى الاغوار قد تكون اصلح من النظرة الافقية المستعرضة التي قد تكتفي بالسطوح اللامعة . ولكي لا نجمع الى ضحالة البحر الذي نوشك ان « نسير » فيه - ولا أقول « نخوض » - ضحالة النظر اليه ، لم يكن بد من ان نختار زاوية معينة ننظر منها الى « النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة » ، زاوية تهييء لنا في البداية ان تكون نظرتنا نافذة وان نحصل منها على رؤية تجمع ما تستطيع ايدينا ان تصل اليه . ولم نجد زاوية اصلح من زاوية الصحافة المصرية ، وبالذات زاوية ما يكتبه الاساتذة والاصدقاء ، كتاب الصفحات الثقافية والسياسية والفكرية . لن نستعرض كل ما يكتبونه الآن ولن نشترك في مناقشته - فذلك قد يدفعنا الى ما نود ان نتجنبه ونحب لهم ان يتجنبوه - بل سنحاول ان نكتشف معناه ، وان ننفذ الى ما تحت السطح ، وما تحت القاع .

لا نحب ان نكون من المتشائمين الذين لا تقع ابصارهم الا على جوانب القصور بل والفساد الذي لا مرية في وجوده ، ولا يوجهون قذائف نقدهم الا على الاركان المتصدعة او الخربة او الضعيفة . بل نعتقد اننا ما نزال - مثلما كنا ومثلما سنظل - قادرين على تمثيل ثمار العقل الانساني العظيمة ، بمثل قدرتنا على اثبات هذه الثمار ، مهما بدت على وجوهنا ملامح هزلية او خرجت من حلوقنا تاوهات يائسة .. فالعقم لم يشرب الى ارواحنا ، لم ندخل بعد من الباب الذي كتبت عليه كلمات تصيح الداخلين بان يطرحوا عنهم كل امل ، فهذا الباب لا يدخله الا الوتي وحدهم من الخطاة . اما نحن فما نزال احياء واخطاؤنا ليست في معيار الحياة خطايا نستاهل في مقابلها العذاب الابدی ... اخطاؤنا ثمرة تجربتنا وشجاعتنا على خوض التجربة .

وليست هذه كلمات عزاء نقولها لتتسلى عن هم فادح او حزن مقيم ، لكنها الكلمات التي اعتقد انها للتعبير الحقيقي عن وجدان الناس العاديين في بلادنا وفي كل مكان - الذين لا يقدررون ان يستهلكوا

منتجات النشاط الثقافي في ج.ع.م - والذين لم يتحول الحزن عندهم الى عادة سيكولوجية ، والذين يركنون الى العمل ويثقون في المستقبل ولا يفكرون في الموت الا في لحظة الموت . وهم الذين لم يتحول اليأس عندهم الى مصطلح لقوي يحلو لهم ان يلوكوه ليؤكدوا لانفسهم وللآخرين انهم يعيشون عصرهم بالعمق الجدير بانسان « مثقف » - هذه الكلمة التي اصبحت مرادفة عندنا لكلمة « مفكر » .. ( وانا استخدم هذه الكلمة الاخيرة بمعناها الشائع المتداول في مفاهي المثقفين في القاهرة ) .

والمشكلة هنا - بالنسبة للمثقفين - ليست هي الجلوس في المقاهي ولوك الكلمات ذات المعاني والتي لا معنى لها ، وانما المشكلة ان ينقل الكاتب روح المفهى الى ما يكتبه حينما يتراوح موقفه بين الهجوم الكاسح على كل شيء او السخرية من كل شيء ، او الاستهزاء المستخف من أي كاتب او ناقد او مفكر يصير على ان يحمي نفسه من « روح » المفهى ان تتسلل اليه او ان تسمه بميسمها المدمر . حينئذ يشرع المهاجم او الساخر او المستهزئ المستخف في رفع شعار تحديد معاني الكلمات حتى يمكن ان « يقوم تفاهم بين البشر » .. ( مثلما فعل الاستاذ موسى صبري - مثلا - بعد ان افحم نفسه في مناقشة قضية جائزة القصة القصيرة ، وقام بمحاولة في التقييم التفدي لبراهيم الورداني ودافع عن حق الورداني في نيل الجائزة .. ثم قام بمحاولة مشكورة لتحديد معنى كلمة « رواية » بعد ان خلط بين الرواية والقصة اعتمادا على شرح الاستاذ احمد حسن الباقوري شيخ الجامع الازهر ) . وهكذا تصعب قضية « التفاهم » المنشود ، التي نبرز الى الوجود حينما تتميع حدود كل قضية اخرى ...

فالتفاهم ممكن بين عقلاء يتحدثون عما يعرفونه ويطرحون الاسئلة عما يتشكرون معرفته ، ويضعون الافتراضات حول ما يشكون في معرفتهم له ، بينما يكاد التفاهم ان يكون مستحيلا بين عقلاء يفعلون هذا كله او يجهدون ان يفعلوه ، وبين « مثقفين » يلوكون الكلمات في المقاهي وعلى صفحات صحافة القاهرة . وربما كان من المنطقي ان يخلط موسى صبري هذا الخلط وان يحرف المناقشة الجادة التي اثارها رجاء النقاش حول الدور الذي يلعبه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب - هذا الدور الذي يشوب جديته هزل كثير - قد يكون من حق موسى صبري ان يفعل ذلك كله طالما استطاع ان يستلب لنفسه حق افحام نفسه على ما لا يهتم به الا من الزوايا الشخصية او الانارية ، وقد يكون من حقه ان يلوك كلمات لا يعرفها ثم يعود الى المطالبة بتحديد ما لم يتطوع فيجدها اعتمادا على كلمات اخرى يلوكها دون تحديد .. فهذا لا يستغرب ممن يتحدث عما لا يعرفه ، ولا يسأل حتى يعرف ، ولا يشك في شيء فيضع حوله الفروض ... ربما كان هذا كله منطقيا وطبيعيا ومتوقفا ، ولكن الشيء غير المنطقي وغير الطبيعي وغير المتوقع هو ان يتحول الانحراف عن القضية الجادة الى موضوع جديد ، ثم يخرج انحراف جديد من الانحراف الاول ليصبح بدوره موضوعا رئيسيا ، ومن الطبيعي ان كل « انحراف » جديد يستلزم اطرافا جديدا يدخلون المناقشة ومن الطبيعي حينئذ ان تتحول مناقشة شيء محدد الى نوع من « الهيصمة » يثور فيها كل شيء في وقت واحد . فمناذ انار الاستاذ رجاء النقاش موضوع المجلس الاعلى وضرورة تطوير لجانه ومهامه والدور الذي يلعبه في حياتنا الثقافية ، دخل عدد لا بأس به من الكتاب في هذا الموضوع . ولما كان رجاء النقاش قد اثار القضية بمناسبة جائزة القصة القصيرة التي منحها اللجنة لبراهيم الورداني ، فقد بدأ « الرد » على رجاء من زاوية الدفاع عن ابراهيم الورداني - بدأ موسى صبري هذه المناقشة - وكان من الطبيعي ان تتحدد المناقشة في هذا المجال حتى يمكن « للمثقفين » الجادين حقا والمهتمين حقا بمجلس الفنون والآداب ان يصلوا الى نتيجة محددة بالنسبة لجائزة القصة القصيرة ولجنتها - على الاقل - وبالنسبة لبقية لجان المجلس وتشكيلاته وجوائز واعضائه .. ان امكن وعلى الاكثر . ولكن من الذي يصدق ان ما حدث هو ما حدث بالفعل ؟ المناقشة ما نزال مستمرة حتى

الآن - ولكن بعد ان نسيت قضية المجلس الاعلى والقصة القصيرة وكل شيء متعلق بهما وبعد ان آثر رجاء النقاش ان يسكت والا ظنه الناس لجوجا يلح فيما لا طائل وراءه وفيما لا يهتم به أحد ! - وبعد ان اصبح موضوع المناقشة ... كل شيء ، تقريبا ودون مبالفة . فانت قد تقررا مقالا للاستاذ اسماعيل المهدي - احد الاطراف الجديدة في المناقشة - فتجده يتحدث في البداية عن « جمعية الادباء » وانتخاباتها ، ولا تصر بك سطور قليلة حتى تكتشف انك تقررا كلاما عن مستوى التعليم الذي وصل اليه احمد عبد المعطي حجازي ، ثم سطور قليلة اخرى لفرق في مناقشة مجردة حول افضلية الترجمة على التأليف في هذه الظروف ، ثم افضلية العلم على الادب في عصر الثورة التكنولوجية ، ثم الازمة الراهنة في المجتمع المصري .. هل هناك ازمة ام لا ، ثم مناقشة لتقييم ترجمة الاعمال الكاملة لدستويوسكي وكيف ان بلزاك او ديكنز ضروريان لنا في هذه المرحلة ، ثم الدور الذي يلعبه اليسار وظاهرة الشللية ... الخ ... الخ . ويعلم الله ما الذي كان مسن الممكن ان يتناوله المقال الواحد فوق كل ما تناوله لو لم يكن للصفحة حيز محدد - ولو انه يبدو حيزا لا نهائيا مثل كون آينشتين ! وكان هذا الكلام « العلمي ، التعليمي » قد كتب بأسلوب تداعي المعاني او تيار الوعي ! . ولكن دهشتنا ستزيد حتما ان نحن قرأنا المقال التالي - المتوقع طبعاً - الذي يكتبه الطرف المقابل من المناقشة - الأستاذ احمد عبد المعطي حجازي - اذ انك ستفاجأ بأنه يصر على ان « يرد » على مقال اسماعيل المهدي .. نقطة نقطة وبالتفصيل ، مستشهدا بزبد من الأدلة التي لا بد وان تجذب الى المناقشة اطرافا جددا وموضوعات جديدة ! . ونحن لا نعود ان ندخل طرفا في هذه المناقشة - ولا نحب ذلك بالتأكيد - لانها ببساطة ليست مناقشة . فمن العسير ان نتبين من بدأ « الكلام » ومن بدأ « الشجار » ومن العسير ان نتبين كيف امكن ان يضم هذا الكلام كسل هذه الغاية المشجرة من الموضوعات التي نتجاهل حياتنا واحتياجاتنا الروحية الحقيقية بقدر بعد تناولها عن الرغبة الموضوعية والجادة في الوصول الى جوهر المشكلة - ان كانت نمة مشكلة - والى حل واقعي لها ان لاح نمة امل في حل واقعي ، بعد ان تجاهل « المشاجرون » القضية الاولى والتي اثبتت بأسلوب موضوعي ينبع من رغبة جادة في الوصول الى حل . ربما كان الدافع الى « الشجار » احساس مرهق بالخمول يؤدي الى حالة نصبية لا يمكن السيطرة عليها ، خمول منشؤه التباعد العقلي المتململ الكسول عن « الناس » وعن حياتهم وعمما يعانون بالفعل . القاهرة اذن متخمة بكل شيء ، جامعة الى كل شيء ... القاهرة تنتج عشرات الكتب والمجلات والافلام والمسرحيات والبرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وتستورد عشرات اخرى من كل « صنف » من هذه الاصناف ... ومع ذلك فاكثر ما تنتجه واكثر ما تستورده ، لا يستهلكه سوى نصف سكانها .. نصف سكان العاصمة ، وبقية الجمهورية العربية المتحدة تحاول ان تقلد القاهرة .. عواصم الاقاليم تكون فرقا للفنون الشعبية همها الاول هو ان تذهب الى القاهرة لتعرض برامجها على مسارح العاصمة بينما ما يزال ٧٢٪ من المصريين يعانون الامية

**منشورات دار الاداب**  
تطلب في  
الدار البيضاء ( المغرب )  
من  
مكتبة دار العلم  
للنشر والتوزيع  
٤ شارع الملكى - الاحباس  
تلفون ٦٢٣٠٩

طبقا لما جاء في برنامج مشروع منظمة الشباب الاشتراكي . اليس مسن حقنا اذن ان نقول ان هذه التخمة الثقافية ليست الا تظاهرا بالتخمة ... وان هذه التخمة انما هي جوع حقيقي الى « النشاط الثقافي » وهو ان يكون هدف هذا النشاط تثقيف الشعب كله لا مجرد امتاع نصف القاهرة !! .

ورغم هذا فمن الحق ان نقول ان صورة النشاط الثقافي فسي القاهرة - كما تتبدى من صحافتها - ليست بهذه الجهامة كلها .. هناك من يحاولون ان يهيئوا للجوعى سبيل الغذاء ... ربما خرجت اصوات جادة تحاول الصدق وتتوسل به الى نوع من الحقيقة والى التقلب على التخمة الكاذبة ...

ربما استطاع محمد عودة ان يكتب في اصرار يحسد عليه وجدية نغبطه عليها عن « الثورة » واحتياجها الى الحزب الثوري القائد ، وعن جذور النكسة وصلتها بالطبقة الجديدة والطبقات القديمة ايضا ، وعن ارتباط النكسة بغيبة ذلك الحزب الثوري القائد .

وربما استطاع يوسف اديس او احمد بهاء الدين او رجاء النقاش او بدر الديب ان يصرروا على مواصلة النظر الى الامور بجدية ، غاضبة احيانا وساخرة احيانا وهادئة متاملة في اغلب الاحيان . ولكن المشكلة هي ان كلامهم الجاد ، الفاضل او الساخر او الهادى المتامل ، لا يصل الا الى عدد من الناس يقل كثيرا عن عدد من يتجمعون في المساجد يوم الجمعة ليسمعوا خطبة الصلاة وليؤدوا فريضتهم . وفي خطبة الجمعة الماضية في احد مساجد القاهرة ، كان الامام الخطيب يتحدث عن كيف ان الجن يستمعون الى القرآن بافضل مما يستمع اليه الناس !!

الا نفرنا هذه المقارنة بان نطلب من اساتذتنا واصدقائنا ، الجادين هؤلاء ، الفاضلين احيانا ، الساخرين احيانا ، الهادين المتاملين فسي غالب الاحيان ، ان يفكروا في ان يضموا الى الكتابة محاولة ان يؤموا الناس في الصلاة حتى يمكن ان تتناول خطبة الجمعة - التي يستمع اليها كل الناس الذين لا يعرفون القراءة والذين تتغذى بها ارواحهم - حديثا اخر غير حديث الجن !! .

### وجه اخر للصورة

ولكن هل يعني احتكار القاهرة للجانب الاكبر من انتاج واستهلاك النشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة ، هل يعني ذلك ان نتجاهل ذلك النشاط او لا نتابعه ؟ اننا اذا انتقلنا من زاوية الصحافة المصرية الى زاوية الفن السينمائي - على سبيل المثال - لرأينا وجهها اخر ربما التقينا فيه بجوانب ايجابية وبناءة يخطها فنانون ومثقفون شبان ما زالوا - رغم النجاح الذي يوشكون على تحقيقه . بعيدين عن الاضواء .. الكبيرة .

لقد ركزت وزارة الثقافة اهتمامها فسي البداية - بعد مجيء الدكتور ثروت عكاشة الى الوزارة - على قطاع الانتاج المصري ، وحدثت في مراكز قيادة هذا الانتاج تغيرات كثيرة لا شك في جدارة من اتوا بناء عليها في حقهم في « القيادة » ، وان كنا نتساءل عن مدى قدرتهم على قيادة قطاع السينما بالذات . ولكن الاساس الحقيقي الذي يقوم عليه اي فح اصيل - والذي يتكون اساسا ممن يستهلكون هذا الفن اولا ، ثم من يشتركون في ابداعه ، لم يثل اهتماما واسعا باستثناء معهد السينما الذي انقضت على انشائه ست سنوات .

ثم قررت وزارة الثقافة تكوين « نادي السينما » لتعرض فيه على اعضائه فقط - الذين يكونون في غالبيتهم جمهورا خاصا - الافلام التي لا تصلح للعرض التجاري سواء لاسباب رقابية او اقتصادية . وبعد اقل من شهر كونت نقابة الصحفيين ، النادي الثاني للسينما ، خاصا باعضاء النقابة . وقبل هذا بوقت قصير كان العدد الاول من « مجلة السينما » قد صدر داخل غلاف واحد مع « مجلة المسرح » القديمة ، على ان يتولى الاستاذ سعد الدين وهبة - السينمائي وكاتب المسرح - رئاسة تحرير الجزء الخاص بالسينما الى جانب الدكتور عبد القادر

السينمائيون الشباب وفي استهلاك الانتاج السينمائي الذي تستورده وزارة الثقافة لا للمثقفين المتخصصين في السينما وحدهم وانما لجمهور يتزايد باطراد - باشراف المدير العام على المصنفات الفنية ( مصطفى درويش ) والحق ان مصطفى درويش بطريقته في تنفيذ الدور الذي اختاره لنفسه انما يكسر الصورة الشائعة القديمة « الرقيب » صاحب القمص المزيف والقلم الاحمر المذنب بشطب كل شيء .. لم يعد الرقيب اذن حارسا على خزنة خاوية وانما حارس على خزنة حريص على ان يملأها بالطيبات .

ان « نادي السينما » التابع لوزارة الثقافة الذي يضم الان اكثر من خمسة الاف عضو في القاهرة ، واذا ما اضيفت اليه نوادي السينما في المحافظات علاوة على نادي نقابة الصحفيين يمكن ان يتحول الى معمل حقيقي للتجارب التي تهدف الى التأكد من سلامة اذواق المتفرجين من ناحية والى تحسين هذه الاذواق من ناحية اخرى . وفي نفس الوقت الذي عرض فيه « نادي السينما » افلام « الفناع Persona » لانجمار برجمان ثم « امتياز Privilege » لبيتر واتكن ثم « ثورة اكتوبر » لفردريك روسيف ثم الادوار العليا Pent house لبيتر كولنسون ثم « المدرس الاول » The first teacher لتكونشالو فسكي ، اقول انه في نفس ذلك الوقت ، عرض في السوق فيلم « اعماق الصورة » Blow up لاشونبوني ، « الحياة للحياة Vivre pour vivre » لتكود ليلوش واستطاع الفيلمان ، رغم صعوبتهما الفكرية وتمقيدهما الفني ان يحققا نجاحا تجاريا ضخما تفوقا به على كل الافلام التجارية الاخرى التي زاملتهما في السوق . بل ان الفيلمين الثالث والرابع بعدهما - من حيث التفوق التجاري كانا « سبعة وجوه لامرأة » Woman times seven « لفيتوريو دي سيكا » ثم ليلة الجنرالات Night of the generals بالرغم من انه تمثيل عمر الشريف .. وجاءت كل الافلام التجارية التي اعتادت اكتساح اسواق القاهرة - جاءت في المؤخرة .

هكذا نضمن اولا عدم عزلة المثقفين السينمائيين الشباب العزلة التي كان يمكن ان تهدد بظهور افكار عصبية بينهم لا يمكن ان تكون نتيجة سوى مزيد من العزلة ، ثم نضمن الاتجاه الصحيح لتغيير دماء السينما المصرية برمتها ، الاتجاه نحو « تثقيف » جمهور المتفرجين لا في القاهرة وحدها وانما في مدن الاقاليم كذلك - على الاقل ، ثم الاتجاه نحو تطعيم عملية الانتاج نفسها بعقول شابة جديدة تمهيدا لان تكفل هذه العقول بالعملية كلها .

سامي خشبة

دار الآداب تقدم

القاص العراقي

غائب طعمه فرمان

في روايته الجديدة

# خمسة أصوات

الثنى ٥٠٠ ق. ل

صدرت حديثا

القط رئيس تحرير مجلة المسرح . ونرجو ان نفرد لهاتين المجلتين حديثا خاصا . ولكن الخطوتين التاليتين هما ما ينبغي ان نتوقف عندهما طويلا . اولهما كان قيام وزارة الثقافة باثناء نساد للسينما خاص بالاطفال ، والثانية كانت البدء في انشاء نواد سينمائية اقلية في اكثر من عشر محافظات . هذا الى جانب ندوة الفيلم المختار وهي ندوة تعقد في قصور الثقافة بجميع المحافظات ويحضرها كاتب او ناقصد معروف ويشترك فيها جمع كبير من اهالي المحافظات وهي مناقشة ندوة تمتد احيانا الى الثالثة والرابعة صباحا ..

وهكذا يمكننا ان نحدد ملامح هذا العالم الجديد او اعمدته :

- نادي السينما التابع لوزارة الثقافة والذي بدأ نشاطه من يناير .  
- نادي نقابة الصحفيين الذي بدأ نشاطه من فبراير .  
- نادي السينما للاطفال وينبع وزارة الثقافة وقد بدأ نشاطه من يناير ايضا .

- نوادي السينما في المحافظات .

- مجلة السينما التي صدر عددها الاول في يناير ..

كل هذا بالإضافة الى النشاط الجاد الذي يقوم به المركز القومي للافلام التسجيلية الذي انشئ عام ١٩٦٧ وكان من اهم احدثاته الثقافية .. وقد انبثقت عنه مجلة « الثقافة والحياة » التي تقوم بها مجموعة من الشبان الجادين ممن يضمهم المركز من امثال هاشم النحاس واحمد راشد ومحمد قناوي ومتى مجاهد .. وهي مجلة سينمائية تصدر شهريا وتعرض في دور السينما ، مهمتها استعراض اهم احدثات الشهر الثقافية والحياتية ولكن بوجهة نظر موضوعية ودرامية جيدة وهناك ايضا جمعية الفيلم وهي جمعية يشرف عليها احمد الحضري عميد معهد السينما ومصطفى درويش مدير الرقابة على المصنفات الفنية وهي وان كانت تقوم بنشاط محدود نظرا لامكانياتها المادية الا انه جاد ومؤثر ومنظم يشترك فيه نخبة من المثقفين الذين كانت تهدهم على الدوام نتيجة لعزلتهم بمتهم الفنية الرفيعة ظاهرة تعميم وتثبيت انعزالهم العقلي عن جماهير الشعب دون محاولة كبيرة للتأثير في جماهير المتفرجين - رواد السينما - الذين كانت تتم عملية منظمة من اجل افساد اذواقهم ثم بالاعتماد على هذا الفساد في تبرير انحطاط مستوى الانتاج السينمائي المحلي وانحطاط مستوى الافلام المستوردة .

كانت عملية افساد المنظمة هذه تتم على ايدي اصحاب العالم القديم ، النجوم او المخرجين او المنتجين الذين تسربوا بقوة الى المؤسسات السينمائية الجديدة التي انشأها القطاع الحكومي او القطاع العام ويحزرون من خلاله وعلى حسابها مكاسب كبيرة تهدد في النهاية بالتهام تلك المؤسسات التي انشئت باموال الشعب ثم تصفيتها لحساب اعمدة العالم القديم .

تهتم « جمعية الفيلم » اذن بعرض الافلام ذات المستوى الفني والفكري الكبير ، ومن مختلف المدارس الفنية والفكرية في العالم تبعا لامكانياتها على اعضائها القليلين وتحرض على مناقشة كل فيلم واسلوب مخرجه والمدرسة التي ينتمي اليها . كان العمل هنا اشبه بمكتبة خاصة ، مؤلفاتها كتبت بلغة اجنبية لا يتقنها الا القليل . ولكن « جمعية الفيلم » بعد تكوين نادي السينما الجديد التابع لوزارة الثقافة ثم نوادي السينما في المحافظات اصبحت - موضوعيا - تعيش في عالم يمكن ان يصبح عالما اليقا ، واصبح من الممكن « لثقفيها » السينمائيين ان يضموا وجود عدد اكبر من المتفرجين يتثقفون ايضا - على مستويات مختلفة - بالفن السينمائي الجاد والانساني ؟ واصبح من المضمون ان يتزايد هذا العدد باستمرار حتى يمكن في النهاية ان يكون هو العدد المؤثر في السوق .. على الاقل في سوق القاهرة والمدن الكبرى .

وهكذا نضمن الا يتحول السينمائيون الشباب الجادون والمزودون بثقافة انسانية وفنية وسينمائية عميقة ، نضمن الا تزداد ازمة انفصالهم عن المجتمع المصري او بالتحديد عن المتفرجين الذين يشتركون الان او تشترك اعداد معقولة منهم في استهلاك الانتاج القليل الذي يقدمه هؤلاء

## العراق

جواد سليم . . حياة جديدة

\*\*\*

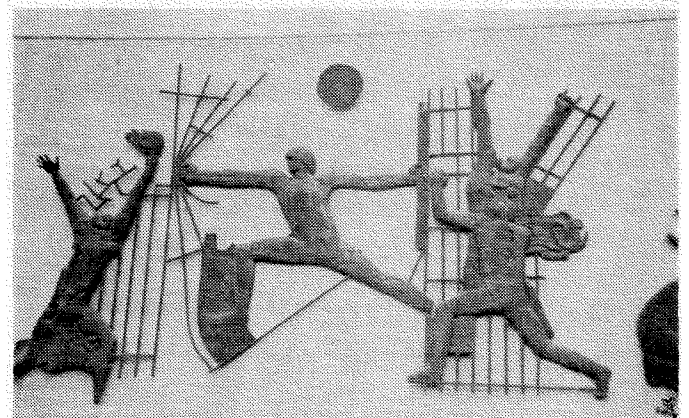
لم يعرف الفن العراقي فنانا نال حظوة ومكانة سواء في حياته او مماته مثل فنانتنا الراحل المرحوم جواد سليم . واذا حاولنا البحث عن جذور هذا الحب التي تترس في صدور اغلبية فنانينا وجمهورنا - سواء جيله ام جيل الشباب اللاحقين - لوجدنا ان السبب الاول يكمن في جواد الانسان لا الفنان فقط ، لقد كان واعيا وكان دافعا سارحا . انا واحد من الناس انذكره وكأنه لم يكن يوما انسانا له وجه وعينان ولحية طويلة . . انه يمر بذاكرتي كشخصية روائية قرأتها في مراهقتي ، كان يتأمل اناملي وهي تصارع الطين بطريقة رديئة ولكنه سرعان ما يفرس انامله لتضرب ضربات عاجلة ماهرة تحيل كتلة الطين الى تمثال مقنع وجيد ، هذا موقف شخصي من جواد ولكنه عام ايضا بالنسبة لطلابه وزملائه الاخرين .

ولم تبق صفات جواد ( الانسان ) سببا اول ووحيداً في شهرته اذ ان وعيه الفني وثقافته العالية سببان اخران ، كان يحب فنه ويخطط لكل عمل سواء في الرسم او النحت ، كان على اطلاع تام بكل ما يدور في مراسم الفنانين الغربيين اضافة الى استيعابه التام للفن الاسلامي والفنون العراقية القديمة ، ويوميته ورسائله التي تركها ومناقشاته مع زملائه وطلابه تؤكد هذا الجانب المهم في حياته الفنية .

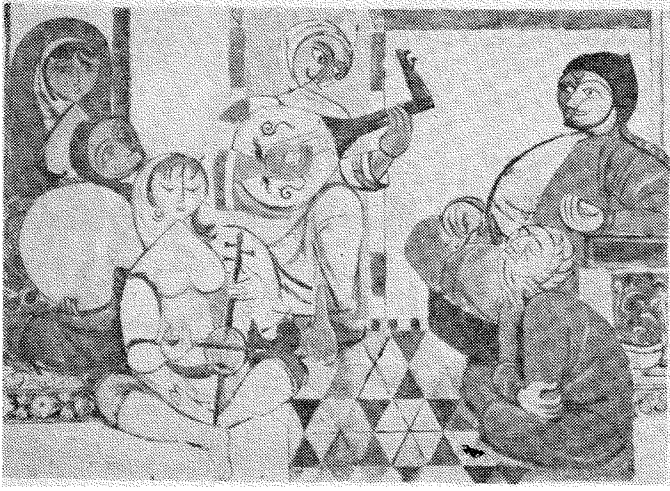
وقد مرت في الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني ذكرى وفاته السابعة حيث مات شاباً عن ( ٤١ ) عاماً ، وفي خلال هذه الحياة القصيرة الحافلة (١) حقق اسلوباً عراقياً لم يكن يتحقق لولا اصلته في الوعي والثقافة وربطته العنيفة ببلده ومواكبته لتطوراتها والتطورات العالمية ) ولم تمر ذكراه هذا العام بصمت كما مرت ذكرى السياب الشاعر - ولعل الذنب هنا ذنب الشعراء انفسهم - فقد اقامت جمعية الفنانين العراقيين اولاً ندوة عن جواد في مقر الجمعية تضمنت محاضرة طويلة لمؤيد شكري الراوي وقد طرح فيها مسألة الفن بالنسبة لفنان عراقي ينظر الى العالم من خلال عينين مشبعتين بالتراث العربي الاسلامي اضافة الى تراث ما بين النهرين العظيم ، ثم انصب اهتمام المحاضر على ايضاح السمات الانسانية التي وفق فيها جواد الى درجة مهمة .

اما وزارة الارشاد العراقية فقد افتتحت يوم الثلاثاء ٢٣ - ١ - ١٩٦٨ معرضاً لاعمال جواد في قاعة الفن الحديث ببغداد ، تضمن هذا المعرض مجموعة من لوحاته الموجودة لدى بعض اصدقائه ومحبيه وابرزها اللوحات الموجودة لدى باهر فائق وسالم الديموجي ورفعت الجادرجي وشقيقته نزيهة سليم وزوجته لورنا . ولعل محاولات جواد الاولى هي درس جيد لفنانينا الشباب اذ انها بمثابة دراسة للخضوع الاولى لفنان

(١) لمان البكري - مقدمة دليل معرض جواد ١٩٦٨ .



جانب من نصب الثورة - لجواد سليم



مجلس الخليفة - لجواد سليم

\*\*\*

اصبح له شأن فيما بعد ويتضح فيها تأثره بأعمال بيكاسو وريونار وماتيس . ونلاحظ ان كثرة اعمال جواد الاولى في هذا المعرض تصدم المشاهد وتفتق الهالة العظيمة التي يحملها عن جواد . . الهالة الكبيرة جدا ، فقد لاحظنا غياب العدد الاكبر من اعماله الاخيرة - في الرسم على الاخص - تلك الاعمال التي كانت الوجه الاخير للمدرسة التي حاول جواد وزملاؤه ارساء ملامحها ، والسبب يقع على عاتق اللجنة المشرفة على هذا المعرض اذ كان الاولى بها ان تحاول تصنيف اللوحات بالنسبة لمرحلتها الزمنية والحصول على اكبر عدد من اعماله الاخيرة التي تمثل كل التمثيل ، ولكن المعرض كفكرة شيء رائع جدا .

وفي مساء الجمعة ٢٦ - ١ - ١٩٦٨ اقيمت امسية اخرى عن جواد في قاعة الشعب اقامها بعض اصدقاء جواد ومحبي فنه ، تضمنت قصائد وكلمات عنه ، ولعلنا نرفض مبدئياً طريقة النايبين الشائعة في مدح الراحل وايضاح محاسنه ، فتأبين فنان يعني قبل كل شيء تقييم فنه فقط ، ولكن في الامسية قصيدة رائعة اهداها الشاعر عبد الامير الحصري في مائة وثلاثين بيتاً الى ذكرى الفنان الراحل وفيما يلي بعض آياتها :

(وادي الحياة خفي القاع .. يحفنه  
والعمر خيط يلاقي بين بعدهما  
تمشي عليها الليالي غير راغبة  
تمشي وتتبعها الظلماء حافية  
حتام نحن ننادي الغيب عن أمل  
حتسام ننسج للبلوى معاذرها  
سفحان : نضر ، وسفح ماتم خرب  
حينا ، ويفجاه رعسد فيقتصب  
قوافلا ليس يهني عودها سبب  
وتفتح الريح درسا ارضه الرب  
بريقه لرماد الروح ينتسب  
من انفس صاغ منها ثوبه الذهب )

وفي المجال الاداعي قدم السيد سجاد الغازي حلقة خاصة عن جواد سليم في برنامجه ( صوت الفن ) تضمنت مقابلة مع مؤيد شكري الراوي والفنانة نزيهة سليم التي تحدثت عن ذكرياتها مع شقيقها .

والشيء الوحيد الذي يسجل على الحركة الفنية هو عدم صدور دراسة جادة عن فن جواد منذ وفاته حتى اليوم ، وفي هذه الذكرى ايضا لاحظنا غياب المقالات الفنية في الصحف حتى المتسر منها ، وهنا لا اسجل تلك المقالة الشائعة التي تستعمل في المناسبات السياسية خاصة والتي تقول : ( لنجمل من هذه المناسبة منطلقا ... الخ ) ولا اعيدتها ايضا ، ولكني اذكر ان ظاهرة الاحتفال بجواد دليل على وعي الجمهور العراقي وتفتحته على الفن واقباله على المعارض ، كما انها دليل على تعلقه بالفنانين الصميين الذين تبنا قضاياهم واستوعبوا تراثه وانطلقوا منه وعلى رأسهم جواد سليم ، اما الدعوة الى دراسة اعمال جواد سليم دراسة نقدية جيدة فهي تسع عدة مؤلفات لا كلمات ومقالات سريعة ، اذ ان دراسته تعني دراسة الفن العراقي الحديث ومحاولة رصده وتقييمه .

عبد الرحمن مجيد الربيعي

بغداد